

التمثيل السردى للألم

قراءة في نماذج روائية نسائية جزائرية معاصرة

Narrative Representation of Pain

A Study of Contemporary Algerian Female Novelists' Models

د. وسيلة بكييس

د. وليد عثمانى*

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 (الجزائر) جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 (الجزائر)

o.bekkis@univ-setif2.dzo.otmani@univ-setif2.dz

تاريخ القبول: 2025/06/04	تاريخ التقييم: 2025/04/29	تاريخ الإرسال: 2025/03/02
--------------------------	---------------------------	---------------------------

الملخص

يلجأ السارد إلى كتابة الوجد لأن النفس البشرية بطبعها تنفر من الألم وتركن إلى عوالم اللذة التي تفتح الأفاق الرحبة أمامها. من هذه الفلسفة انطلق هذا البحث للكشف عن الآلية التي كتب بها نفسيته من جديد لتحقيق هويته وذاته التي غابت وسُرقت، بل اغتصبت مرارا وبشكل أكثر إيلاما ودموية؛ خاصة حينما يكتب ذاكرته التي تجتر تلك الآلام بتفاصيل جراحها النفسية الغائرة قبل الجسدية.

توصلت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج توجز في: أن الواقع يتشكل في السرد من منظور الألم بشخصيات ترسمه واجهة جديدة في بوتقة زمنية ومكانية يعول عليها السارد كثيرا في توجيه بنية السرد. كما أن تيمة الألم تتوزع على سائر العمل السردى بدءا من العتبة الأولى العنوان إلى الحبكة الفنية، تكتب حروفها الشخصيات الفاعلة بدقة مشوقة، يعيش معها القارئ، ويتتبع نتائجها بشغف.

كلمات مفتاحية: التمثيل؛ الألم؛ السرد؛ الجزائري؛ المعاصر.

Abstract

The author resort to write pain because the human soul, by nature, is repulsed by pain and is left to explore the realms of pleasure, which open up vast horizons before it. This research was launched from this philosophy in order to

*المؤلف المراسل:

reveal the mechanism by which he wrote his psyche anew in order to achieve his identity and himself, which was absent. but was raped repeatedly and in a more painful and bloody manner. writes his memory, which regurgitates those pains.

This study yielded a number of conclusions, which are summarized in: In the narration, reality is formed from the perspective of pain, with characters drawn by a new interface in a temporal and spatial crucible on which the narrator relies heavily in directing the narration's structure. The theme of pain is also spread throughout the rest of the narrative work, beginning with the title, and progressing to the artistic plot, the characters of which are written by the actors the reader lives with them.

Keywords: Representations; Pain; Narration; Algerian; Contemporary.

1. مقدمة:

لماذا يُكتب الألم بالذات؟ لأن النفس البشرية بطبعها تنفر من الألم وتركن إلى عوالم اللذة التي تفتح الأفاق الرحبة أمامها. من هذه الفلسفة انطلق الأديب يكتب ما يعتري نفسيته من أوجاع وآلام تلم به، تنغص حياته، وتشوه رؤيته للحياة التي يُقبل عليها بكل ما أوتي من قوة. وهو بذلك يعبر عن أحادية النفس في المجتمع الذي يؤسس لمثل هذه الفلسفات التي نشأت فيما بعد في المخيال البشري وفق تراكمية وتراتبية متوارثة كابرا عن كابر.

بكتابة الألم يعيد الأديب كتابة نفسيته من جديد لتحقيق هويته وذاته التي غابت وسُرقت، بل اغتصبت مرارا وبشكل أكثر إيلاها ودموية؛ ويحدث ذلك حينما يكتب ذاكرته التي تجتر تلك الآلام بتفاصيل دمويتها وجراحها النفسية الغائرة. والكاتب هنا يعيد رسم حياته مركزا على جوانب أساسية فيها مثل: فترة طفولته أو مرحلة معينة من حياته سيرا نحو التسامي "sublimation" وهكذا تصبح هذه الكتابة حجر الأساس في العمل السردي ككل، تنصرف نحوها الأنظار والأذهان.

سنقف في هذا البحث عند التقنيات التي استعملتها الساردات في وصف مشوق، يعيش معه القارئ حدثاً حدثاً، ويتتبع نتائجه بشغف، مع كثير من الإثارة واستشراف النتائج بحالة من القلق. ويرجع ذلك إلى أن "السيرة الأكثر جذبا للقارئ العربي المعاصر لم تعد سيرة الكاتب العربي الرجل، بقدر ما انحرف الانتباه إلى سيرة الكاتب العربيات، اللواتي لم يذخرن جهدا لعرض الرؤى الشخصية حول ملابسات الواقع الذي ينتمين إليه، بعدّهن طرفا فاعلا لا يعتد بفعاليتها الاجتماعية إلا بقدر ما تتوافق مع النسق الثقافي المهيمن على الواقع العربي"¹ وهو عمّق تركيز القارئ على شحن الذهن بشحنة هائلة من الخيال تشتغل على مستوى المراحل المتقدمة من العمل السردى باقتراح الحلول، ورسم النهايات وتأويلها والحكم على الشخصية إزاء الأحداث المتنوعة.

1. الكتابة بالألم نحو إعادة تشكيل الواقع:

تشكّل الواقع هنا لا يعدو أن يكون رؤية إبداعية ينسج خيوطها الكاتب بألوان من الأوجاع، مسته وطالت جسده أو نفسيته أو ذاكرته... أو كل ما يشكل الجملة الحسية والجسدية عنده "إن بناء قصة، استنادا إلى قوانين السردية الاصطناعية، يقتضي الخروج عن مسار ما من أجل إسقاط حالة حياتية تعد تشكيلا جديدا لكم زمني يتطور خارج مداره المعتاد. فعندما يحدد السارد بداية حدث ما ... سيعلن عن ميلاد شخصية هي المدخل الأساس للإمسك بالعوالم الدلالية المحيئة منها والضمنية. حينها تبدأ الأشكال الحياتية الجديدة في التشكل"² يتشكل الواقع في السرد من هذا المنظور بشخصيات ترسمه واجهة جديدة في بوتقة زمنية ليست بالهنية؛ إذ يعول عليها السارد كثيرا في توجيه بنية السرد. فحينما يربطها السارد بمدينة كما هو الحال في رواية "أحلام مدينة" للروائية فريدة إبراهيم فتدشين الفعل، بكل تبعاته، مرتبط بالمواجهة الأولى بين الشخصية وبين العالم الذي تلجه. كما أن وجود الحياة في السرد مشروط بإسناد وظيفة ما إلى محفل يقوم بإنجازها ضمن تجربة زمنية معدودة³

2. الذات تكتب آلامها/ تسريد الألم الذاتي في رواية تواشيع الورد لمنى بشلم

تشكل رواية تواشيع الورد ما يعرف بالكتابة والعنف، أو كتابة الألم. لتمثل هذه الأنماط الكتابية ما يدور في هذا العصر الذي نعيشه من عنف ووجع كسمة بارزة وخاصة

فريدة من نوعها؛ حيث يتشكل العنف كإلزامية تطبع المجتمع/النص بما يقع في صفحات المجتمع باعتباره نصا تنطبع أحداثه على ذلك البياض الذي يسودُ شيئا فشيئا حتى غدا سوادا على سواد يتراكم.

اعتنت الدراسات النقدية بالعنف باعتباره: "أحد الموضوعات الكبرى في الأدب الإنساني قديمه وحديثه، معتبرة الأدب وثيقة تعكس المكانة التي يحتلها العنف في تجارب الأفراد والجماعات والشعوب، أي في تاريخ الإنسان"⁴ لتشكل الرواية بذلك آلة تصوير تنقل صور العنف ومشاهده لتعبر عما سكنت الصورة عنه سردا؛ ألوانها وقائع: الوجد والالتم، وظلالها: رواسب العنف وما تركه من ندوب على أستار الروح، حجم الصور وقيمتها: ما تركه من أوشام على الجسد المنهك وما لحق الروح...

فرسمت منى بشلم في هذه الرواية صورا متعددة للإنسان، ذلك المؤسس لحياة معقلها العقل والبشرية التي تبتعد عن حياة الغابة والأشجار... ولكن يستحيل البشر خيرا ويستحيل الحنظل حلاوة. وكأن القلب عاف كرامة الرحمة والإنسانية ليسيطر الشر ويستفحل عن الخير

عن تشتت الألم في الرواية منذ الكلمة الأولى تبرعم ورود هذا النص عطورا متنوعة تعبق النص ألما وترسم أوجاعه التي تفرغ أبواب القلب الضعيف. تدمي العيون بديلا لعبرات تسح بسخاء، توجع الرؤوم وتفني حشاشة ضاقت عليها الأرض والكلمات والكائنات بما رحبت لتلجأ إلى أبواب السماء تستعطف رحمت تُسلي النفس وتستجمع الشتات...

ليشتغل القارئ باستراتيجية يطارد فيها الألم والجسد وتمثالاته ودرجاته المتفاوتة، وليبرز جماليات التوظيف التي عملت الروائية على حبكها وسردها في شكل عقد متناهية في الانسجام.

بدءا من أولى محطات السرد تتساءل بشلم عن الحرقعة عن الدموع عن الألم الذي أضنى الجسد وكوى القلب: "أرأيت إن كانت نارا، أرأيت إن كان بين النفس والجسد، أرأيت إن كان القلب وقودها، وأنثى ليهيها.. إن كانت انكساره، في زمن يفجع بعد العين بالأثر، وبكاء على البسمات والحلم"⁵ هل هذه تساؤلات تنتظر إجابة؟ أم هي تهيئة لجو تفاعلي تباشر بها منى بشلم القارئ ليتتوخى عبرها مدارج الألم.

يتوزع الألم في رواية تواشيح الورد بشكل دائري غير متناه في الكبر... ما إن تنتهي دائرة حتى تنفتح أخرى لتضييق على "شهد" وتذيقها صنوفا من الألم والوجع. ألم يتنوع بتنوع الورد وألوانه؛ ألم يتوشح نارة خُفْيَةً بَغْتَةً ليطعن فريسته بكل قسوة. ويتجلى في أخرى، طعنات في الصدر تستبجح آهات الضحية بلذة ومتعة متفانية في التعذيب والقهر وكأن الألم خلق لـ"شهد"... وكأن "شهد" توشحت ألما تدثر به يومياتها، تنسق به باقات من الدموع تنهمر، لتنظم بها عقودا تعدُّ حباتها دقائق الوجع، كناسك لهج لسانه تسابيح تقرر أبواب الفجر تناشد المعبود فرجا يتجلى عن قريب، يفتح به عيون قلب بكحل يغسل سوادا خيم على ربيع العمر ووروده... ليتوشح الظلام إشراقا ورونقا يتباهى فيه طل الزهور وتزين حبات الندى لؤلؤا وسرورا...

منطلق الألم كما وظفته الروائية يحيل على مرجعيات متعددة في الثقافة العربية شعرها ونثرها إذ كثيرا ما يتم طرحه من "المنطلق التصوري، أو الطرح الاجتماعي للبنية الذهنية لدى نموذج معين من النساء، يتشامخ الصراع الأزلي بين الرجل والمرأة، وهو صراع طبيعي ينتهي بالتكامل والانسجام لتتواصل الحياة والإخصاب"⁶ وهكذا هي الحياة، حتى تجسد لوحة أدبية تشكل هالة من التقديس تبعث الأمل وتُنْجِيْ بَعد مشرق. كيف لا ويحسب القارئ نفسه يردد أبيات المنفرجة: اشتدي أزمة تنفرجي قد أذن ليلىك بالبلج، تلك القصيدة التي تحمل سحرا يتسرب إلى مرددها بابتهاال وخشوع يبعث فيه الأمل والحياة من جديد ووعدا بتحقيق النصر وتمكينه بعد ليال حالكات من الألم والضنك. فدوائر الألم هنا تنفتح باستمرار لتتغلغل بانفتاح آخر تارة على ألم أفضع، وتارة بقرج يُنسي ما كان وكأنه لم يكن... ولو نجمع أمثلة الألم المنفتح على ألم آخر في معجم لوجدنا:

- الغدر: غدر الصديقة إيناس
- المراودة: مراودتها ليحي زوج "شهد".
- الوهم: الأوهام: ما تكبده "شهد".
- الخيانة: خيانة يحي الزوج يخون "شهد" مع صديقتها.
- القهر: تعذيب يحي لـ "شهد" واستمراره في الخيانة والخديعة.
- الحرمان: أخو "شهد" يحرمها من ميراث أبويها.
- اللا استقرار: وضع "شهد" المتدهور بالاستهزام، فخ إيناس الذي وقعت فيه.

- الكذب: كذب يحي المتكرر على "شهد" بالمناوبة ليلا في العيادة وهو عند إيناس.
- فقدان الثقة: انفلات مرتبط الفرس ل"شهد"، وتساوي الشر في جميع البشر.
- الشك: عدم يقين "شهد" من خيانة يحي لها ومع من.
- الفوضى: عالم "شهد" بعد طلاقها وتشردها. ومطاردة الوسواس والأوهام لها.
- التششت: تششت عقل "شهد" بين الحقيقة والأوهام
- المساومة: مساومة كمال ل"شهد".
- الجسد المعذب: آثار الجراح نتيجة شجار "شهد" مع أخيها.

نجد "شهد" قد حضرت لوحدها وبقوة كضحية في هذا المعجم؛ إذ طالتها صنوف شتى من الأوجاع والآلام. فهي الشخصية البطلة في هذه الرواية تجابه بنفسها هذه الآلام. وتجتمع في هذا العنصر أيضا أصناف من طرائق كتابة الألم؛ فقد تعددت ألوان الكتابة وتباينت لكنها في الوقت نفسه تتفق على محور واحد وهو كتابة الذات لأوجاعها. فمن ألم الفراق إلى ألم الضرب، والاعتداء، وأوجاع الذاكرة... وغيرها مما يوجع الذات ويذيقها أصنافا من الألم.

3. انفتاح الألم السردى وتمثالاته في رواية تواشيع الورد لمنى بشلم

الحديث عن الاستئناس في هذه الرواية معترك وجداني يتربع على آفاق مفتوحة الحدود وذلك عن طريق حضوره المتذبذب، السائربوتيرة تعتمد على الثنائية الضدية: متقدم/متأخر، غائب/حاضر، سير مستقيم/متناوب....

فالاستئناس هنا محكوم بقيد لصيق ومكين وهو الزمن؛ إذ تحكّم فيه بكل سلطة وسطوة إلى درجة أن فرض عليه جبرية قاتلة. وظفتها الروائية بحبكة متناسقة، ورسمت آفاق الفضاء الذي يقوم عليه النص. ليتمثل الألم زمن الاستئناس من بؤر ثلاثة وهي:

- التوتر.

- الضياع.

- التيه.

لينجر عنه عوالم ثلاث على نحو:

- 1 - عالم ما قبل الاستثناس: زمنيا هو عالم التأسيس للعالمين القبل والمما بعد. وفيه تعيش "شهد" عالما غير مستقر نوعا ما بسبب ما تكنه ليحي من حب ورغبة في اختياره شريك الغد الزوج المسلم. وهو العالم الذي انبثق عنه النص السردي كلية.
- 2 - عالم الاستثناس: زمنيا عالم مسكوت عنه، قليل الذكر. بمعنى ملخص ومجمل في زواج "شهد" بيعي والعيش المستقر مع أنس الزوج الحبيب.
- 3 - عالم ما بعد الاستثناس: زمنيا عالم النتيجة "للمقابل" و"المابعد" وهو العالم الذي انبنى عليه النص السردي كلية سردا وأحداثا وشخصيات فاعلة، والآلام والأوجاع... ومجمل الأحداث التي شكلت سردية النص تتجسد في المخطط الآتي:

سنة من الذي يسميه يحي حبنا ولا أجد له اسما. إنه أقوى من الأساء، بل من اللغة ذاتها.
كنت ولجود ولوجه العتبة ينتم قلبه، ويرفرف فرح على الحيا، لا أدرك له سببا،

زمن الوصال

بداية السعادة والراحة في
كنف الحبيب

كنت أعيشه إحساسا أحلى من كل أحلامي. حتى والدته كانت بحضور الشهد، كانت دوما الأم،
كل مساء يجديني مسندة رأسي لركبتها أو كنفها، تطيل الثثرة، نمطط أحاديث النسوان.

زمن المزالة بين المنزلتين

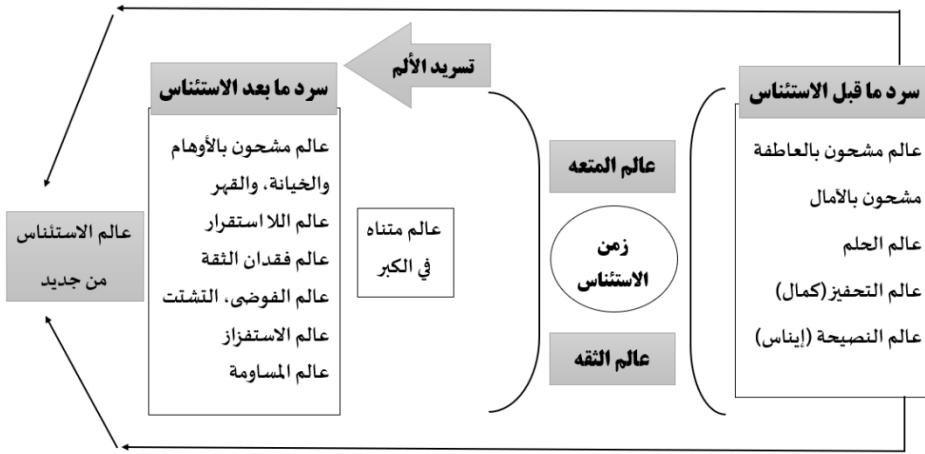
نعمة الهناء التي كانت
تنعم بها شهد

إلى أن انقطعت أوردة الأمان برنة هاتف.. كانت صديقة الأيام الحوالي. اتصلت إيناس تخبرني
أن زوجي يحي يواعدنا، تقول ما هي إلا أيام ويهدم ذكرى جمعتني به، ليقيم حياة جديدة،
حياة من حرية وانطلاق، تبعد به عن كل تلك القيود التي لا أعرف كيف أرفعها

زمن الفجعة والانفصال

انقطاع جبل التواصل،
هدم الأسرة والدخول في
عالم الاستهيام والذهول.

هذا المخطط تجسده ما نسميه بالفقرة الأم في النص السردي كلية. باعتبار هذه الفقرة⁷ هي التي لخصت عوالم "شهد" في المراحل قبل وأثناء وبعد. وهو ما سميناه بالاستثناس. ليتفرع هذا المخطط بدوره إلى مخطط آخر يرصد لنا انفتاحات الأفعال وتشكلات عوالم "شهد" الثلاثة.



شرح المخطط: فعالم ما قبل الاستثناس زمنيا هو عالم التأسيس لعالمين البعد والمما بعد. وعالم الاستثناس: هو عالم مسكوت عنه. (عالم مُختزل، وملخص)

وعالم ما بعد الاستثناس: هو عالم نتيجة للمما قبل ويشكل هذا العالم جملة الآلام التي تعاظمت فيها الأحداث وتكاثرت مع بعضها البعض لتولد القهر والألم والوجع ثم الانفراج التدريجي لترجع إلى عالم الاستثناس من جديد في دورة كاملة..

حيث "شهد" في عالم ما قبل الاستثناس غير "شهد" في عالم المما بعد؛ إذ تشكلت "شهد" بأبعاد متنوعة على مستوى الشخصية. على أساس:

. من "شهد" العاشقة الحاملة (عالم الفتاة) في زمن ما قبل الاستثناس.

. إلى المرأة (المتزوجة) ثم الواهمة في زمن الاستثناس.

. إلى الشخصية الثالثة الأمومة عالم المسؤولية والالتزام في عالم ما بعد الاستثناس.

هذه العوالم الثلاث باجتماعها تحدد شخصية/نفسية "شهد" بطلة الرواية التي تنقلت عبر محطات الحياة المختلفة، أو إن شئنا نقول محطات المؤسسة الاجتماعية التي تؤصل للمجتمع الجزائري (القسنطيني) وترسم هويته. السمة الغالبة التي طبعت هذه الشخصية الألم وما ينجر عنه من تبعات من بكاء وخوف ورجاء وسلوى... وهو ما حضر كالتفات مباشر تصرح به الروائية وهو الالتزام بتعاليم الدين الحنيف من شرع قويم وسليم، ومقاصد المسلم التي يتمثلها كالإتزام. "شهد" وهي تطارد من الرجل الطامع تلزم نفسها بتعاليم الدين كرادع للنفس

وشهواتها: "عفيفة أنت"⁸ التزام صريح وتمثل لتعاليم الدين الطهر والعفاف. ثم قولها: "إنها رغائب زوج مسلم، بها القلب ينبض والنفس تهمس"⁹ حيث اقتران المسلم بالزوج كشرط أساسي وهي التفاتة صريحة إلى عالم الطهر والعفة دين الإسلام الذي يؤسس للاستقرار. ومتى خُرق هذا الاستقرار حلت الفوضى والاضطراب والأذية والفساد والندس... الذي يلحق النفس ويطل كل مقدس. فيهوي به إلى اللا عقل الحيوانية التي لا تؤمن. وما تواشيع الورد إلا شخصيات تمثل هذه المستويات المتناقضة، المتصارعة بضديات الكون والحياة... فمتى حل الخير إلا وتعارض معه الشر صراعا، ومتى ما انبسطت السعادة إلا وفاضت حولها التعاسة ناشرة حبائل خبثها المتلونة شررا وسموما... هذه الحبائل الشيطانية وغيرها جسدها شخصيات الرواية أفعالا تتحرك بكل شراسة تنهش جسد الملتزم وتضغط على روحه قلقا وإزعاجا تتفاقم يوما بعد يوم إلى أن جاء الفرج الذي أزاح هذه الهموم. لتقول لنا منى بشلم بثقة وبتجربة مؤكدة: أن الفضيلة تنتصر دائما.

4. دوائر الألم وانفتاحات الأمل في رواية اعترافات امرأة لعائشة بنور

ما زال الألم يدور في نصوص عائشة بنور السردية، وهذه الوقفة مع روايتها اعترافات امرأة تلك الرواية التي حازت على جائزة الاستحقاق الأدبي ناجي نعمان الأدبية بدولة لبنان سنة 2007. تستفتح الروائية سرديتها بمطلع قصيدة أبي البقاء الرندي لكل شيء إذا ما تم نقصان، معلنة أن دوام الحال من المحال، وأن الزمان دول وذو تقلبات فمن سره زمن ساءته أزمان. فتشكل هذه الحكمة الأندلسية إسقاطات عمدت إليها الروائية لتؤثث بها أحداث الرواية والشخصيات التي تدور بحال من التقلب واللا ثبات على حال مهما كان الأمر.

الاعتراف الذي وقَّعت عليه عائشة بنور في تسريدها للألم الذي يعبر عن الجسد الممزق المعذب، هو جسد يتداوى بدائه ويقتات عليه، جسد يأبى اللوم الذي يتأجج بناره كلما ذكر. وأي جسد هذا الذي يسير على مذهب أبي نواس العبيثي الغارق في اللذة والعريضة... إلى درجة التيه والضياع فيه. "فلا شيء أكثر إيلا ما من تلك الأفكار التي تأتي وتهرب ثم تتلاشى وقد تتدافع بأفكار أخرى فيلفها النسيان وسرعان ما تعود لحظة السكون... لقد قرأ كل الألوان وصنع من نفسه مرآة لشخصه.. وما كانت المرايا إلا بداية للاعتراف. اعتراف الألم والوجع."¹⁰

ثم تتمثل عائشة بنور "الألم" في نصها "اعترافات امرأة" في الحديث عن الجسد الجمعي الذي تشارك فيه الأنثى: "أنا امرأة يكثر وجعها مرة باسم الحب ومرة باسم الاغتصاب ومرة باسم الجهل ومرة باسم الذكورة ومرة باسم تعدد الزواج ومرة باسم العنوسة ومرة باسم الأسرة ومرة باسم لا شيء... ومرة... ومرة...¹¹ هذا الصوت المقموع تحت طائل الواجب تارة، والباطل أخرى هو صورة لتسريد الجسد المعذب المتألم الذي أرادت الروائية أن تعلي صوته ليسمعه العالم بأسره. على الأقل عالم السرد "فالقاري لا يستطيع ولوج عالم المرأة وجسدها ونفسها إلا من خلال ما يريده السارد"¹² وهذا ديدن كتابة الألم كتيمة تحتاج إلى تأسيس سردي بشخصيات، وحبكة فنية، تدور رحاها في خلد القارئ كما أن "السرد الروائي النسائي عكس الآية، وأصبح بمقدور المتلقي أن يلج بوابة الجسد الأنثوي من خلال لغته الخاصة، وانفعالاته المتفردة، وصوته المتميز دون وساطات"¹³ ويتأتى ذلك حينما ينفث السرد على الجسد الأنثوي الذي شجبتة وتعرى كاشفا أهواءه ورغباته، مميطا اللثام عن آلامه وأوجاعه وما ينفر منه... في هذه اللحظة تحصل لحظة الوصال المعرفي التي طالما بحث عنها القارئ، ولجأ إليها باحثا عن حقيقتها وجوهرها.

في محاولة منا لرصد مواطن تسريد الألم في هذا العمل السردي نتبّعنا تيمة الوجد لنكشف عن تمثالاتها، فكانت صورا متعددة لكنها في المحصلة تحط رحالها في محطة واحدة: جسد موجوع، ذات تن من انشطارها، أو اغتصابها أو تحطيمها بشهوة ورغبة مقصودة... على سبيل تمثيل الاغتصاب الذي يقتل البراءة في عمر الزهور بعدما تلجأ إليه لفك قيودها، فتقع رهينة الأغلال التي تكبلها وإلى الأبد... براءة.. ضحية.. خطيئة..

وأصبح الانهزام والاحتراق وجها آخر للخيانة يحطم أكثر المرافئ الآمنة بهذا العنف يصنع الألم، ويزرع في جسد غرض طري يرغم فيه وينمو شيئا فشيئا إلى أن يتحول إلى عملاق يقض مضاجع الهناء، ويأسر كبرياء الذاكرة. ألم يحرق صاحبه آلاف المرات، ويميته آلاف أخرى، يحرق كبده ويمزق جسده أشلاء.

كما تسرد الروائية دواء لهذا الألم بأن تتخذ من النسيان ترياقا "لأنني كنت أريد أن أنسى الماضي والأيام الأليمة، أن يصبح الماضي كأوراق الخريف وأنسى معه الإجابة العالقة التي كانت تختفي وتستفزني بأنني رجل ناقص"¹⁴ بالالتفات إلى ضمير الذكورة عبرت الروائية

عن زوال الألم فهي لا ترضى لآلامها إلا الزوال والفناء كما تفتى أوراق الخريف المصفرة، التي ذبلت تدريجيا معلنة آخر أيامها، وقدم موسم جديد للخير والفلاح.

5. حينما يفيق الألم الدفين تمثلات الألم في رواية أحلام مدينة لفريدة

إبراهيم

يُبرعم الألم في رواية أحلام مدينة منذ العتبة الأولى: عنوانها ثم يندرج شيئا فشيئا إلى صورة الغلاف الذي يُظهر المدينة كثيبة معتمة في ظلمة ليل حالك تعتره بعض الأضواء، التي تظهر كأبة تعيش تحت وطأتها. هذا الغلاف ما هو في نهاية الأمر إلا إسقاط لما في النفس/الذات من كآبة وآلام.

فعن ألم الفقد والخسران تُجري الروائية تسريدا لآلام بطلتها في شكل حوار مع أبيها يحذرهما فيه من مضاعفة آلامها بفقد المزيد من الأحبة: "قبل البدء.. لا بد أن أقر أنه "ليس هناك حقائق فقط، إنها مجرد تفسيرات"؟

كيف يمكن للآباء إذا أرادوا ترك إرث موجه لأبنائهم، أن يخففوا الوطء كي لا يتألموا أكثر! وهل يمكن أن يكون ذلك متاحا، وكيف؟! مادامت الحقائق لا تتجزأ؟

كنت دائما أقول لك إن العتب في أشياءي القديمة لن يقودك إلى الحقيقة، وأن البحث عن صورة أملك في أشياءي القديمة لن يفضي بك إلى الحقيقة، بل سيفتح لك بابا لطرح الكثير من الأسئلة التي ستنتهي بك إلى فقدان أناس آخرين تحبينهم: لأن الأشياء التي يتركها الراحلون لا تحمل كل الحقيقة!¹⁵ فبين الحقيقة وشغف النفس بالوصول إليها تكمن جبال من الآلام من الحكمة والعقل الابتعاد عنها وعدم تقليب صفحاتها، خاصة وان كل صفحة منها تفقد حبيبا أو عزيزا ليس في صالح البطلة أن تضيف آلاما إلى آلامها.

أما عن الوجد المشترك تسلي الروائية نفسها برسم معاناة واحدة يتقاسم معناها مجموعة ممن انفطرت ذواتهم وتشظت بين جسد مقموع، ونفس مهدورة الكرامة، تناسب بينهما الذات في ضياع الألم وقسوته تقول: "يعلو الصوت الذي يقاسمني الحزن مرة أخرى؛ صوت غيري الذي يشبهني.. قليلا أو كثيرا يشاركني أوجاعي، يعلم عني ما أعلمه وقد يزيد. يعلم عنكم الكثير فلا تستهينوا بأصوات غيركم التي قد تحاذيكم تماما عند النقطة الفاصل بين

القلب والعقل، بين الصدق والكذب، بين الغباء والدهاء، بين الريح والخسارة، بين الحب واللاحب.¹⁶ تطلق الروائية من هنا زفرة في وجه مثيلاتها في الألم بتلك اللا الناهية التي تردع كل أفعال الاستهانة بأصوات "الغير" المتألمة تلتقي في مصب واحد عند النقطة الفاصلة بين القلب والعقل، بين الصدق والكذب، بين الغباء والدهاء، بين الريح والخسارة... فهنا مرتبط الشعرة التي تفرق بين الحق والباطل وبين مختلف الثنائيات التي تقوم عليها الذات والحياة. في ختام الحديث عن الوجد في الرواية فإنها تُوزع أوجاعها بشكل متنوع؛ إذ تنتقل من مكان إلى آخر بقلب موجوع وما فعلت به الأيام، ألم يتأرجح بين الحضور والغياب، ألم تستحضر الذاكرة تفاصيل صورته تارة واضحة صافية وتارة يخالطها ضباب وغبش... ولكن في النهاية ألم تزداد تفاصيله كلما تعمّت الذاكرة في تفاصيل الغياب أكثر "فهو يمكن لهذا القلب الميت منذ الطفولة أن يعترف بأن ذكرياتنا هي جراحنا الأجل رغم كل شيء"¹⁷

6. خاتمة:

كانت هذه الشذرات القرائية وقفات تأملية مع بعض التجارب السردية التي حكّت لنا عن آلامها وأوجاعها. بطريقة فيها الكثير من التشويق، باللعب على مخيلة القارئ، والتعايش مع آهات وزفرات النص الموجوعة.

كما مثلت هذه العينات نوعية سردية تحوي في طياتها الكثير من القيم الجمالية التي يرومها السارد؛ بأن يضع القارئ في قالب جديد من تسريد للقبيح/الألم بشكل جميل وجذاب. وكأنه يدعوه إلى عرض جسده وذاته وذاكرته على أصناف الألم كفتنة تحاول أن تستخرج منه ذلك الموجوع المحموم بألمه، تُخرجه من صمته المطبق لعل هذا النص السردية ينقذ ذاتا مسلوقة تعيش في أوهام اللذة المصطنعة.

وقد توصلنا في هذا البحث إلى جملة من النتائج نوجزها في النقاط الآتية:

- صنع السارد بكتابة الألم موقعا جديدا في عالم السرد، وهو نجاح تمكن فيه السارد من ملازمة قلوب المتلقين وتحريك مشاعرهم نحو معاشية شخصيات الرواية.
- تمثيلات الألم تمت بتقنية محكمة البناء؛ حيث كانت متنوعة بين النفسية، والجسدية والمتخيلة الموهومة.

- كتابة الألم تمت بمراحل متدرجة؛ حيث يتنقل السارد بالتدرج في توزيع آلامه/آلام شخصياته بدرجات تدعو إلى التأمل، وتضع المتلقي في الموضوع على مهل وبروية حتى يتحقق التفاعل المطلوب.
 - عالجت الرواية موضوعات حساسة كمشكلة ختان الفتيات، ومشكلة الزنوجة كرفض لفكرة التمييز العنصري في العالم، كما عالجت مسألة الهجرة نحو الشمال بحثاً عن الرزق والكسب الكثير.
 - تطرقت الرواية إلى المشاكل الاجتماعية وعلى رأسها مشكلة الخيانة الزوجية وما ينجر عنها من انقسام للأسرة، وتشتيت لها.
 - كشفت رواية كتابة الألم عن مدى معاناة الجسد الأثثوي المعذب من اغتصاب، وهر، وإجباره على ممارسة ما لا يطيق.
 - كما عزف نص تسريد الألم على أوتار عاطفة المتلقي بالتفاعل والتعايش الإنساني، محاولاً السارد في ذلك أن يثير عاطفة الشفقة، ومستغلاً في ذلك التفاعل العاطفي.
- وفي الختام يوصي البحث بالآتي:
- اشتغال الأبحاث القادمة بالجانب التطبيقي والممارساتي لهذا النمط من الكتابة.
 - اشتغال وحدات البحث والمشاريع البحثية بقراءة الأعمال السردية ذات التجربة الإنسانية العاطفية.
 - عناية مخابر البحث بالكتابة السردية وتوجيه اللقاءات العلمية والمناقشات، وكذا إقامة ورشات عملية لمقاربة طروحات ونظريات السرد المعاصرة، واعتماد آليات للقراءة.
 - لتكوين طلبة البحث العلمي في المشاريع التكوينية.

الهوامش والإحالات

- 1 عادل، بوديار، الأنساق الثقافية في الرواية السير ذاتية النسوية يوميات مطلقة لهيفاء بيطار أنموذجا، مجلة النص، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، الجزائر، المجلد 3، العدد 6، (2017)، ص: 6.
- 2 سعيد بنكراد، السرد الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008، ص: 151.

- 3 ينظر: نفسه، ص: 151.
- 4 حسن المودن، الرواية والتحليل النصي قراءات من منظور التحليل النفسي، الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص: 28.
- 5 منى بشلم، تواشيع الورد، دار الألمعية، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2012، ص: 9.
- 6 باديس، فوغالي، بنية فضاء المؤنث في القصة النسائية الجزائرية القصيرة، مجلة النص، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي الجزائر، المجلد 1، العدد 1، (2015)، ص: 19.
- 7 منى بشلم، تواشيع الورد، ص: 20.
- 8 نفسه، ص: 10.
- 9 نفسه، ص: 10.
- 10 عائشة بنور، اعترافات امرأة، منشورات الحضارة، بورتوتة، الجزائر، ط2، ص: 14.
- 11 نفسه، ص: 86.
- 12 سعيد بنكراد، السرد الروائي وتجربة المعنى، ص: 80.
- 13 إبراهيم الحجري، المتخيل الروائي العربي، الجسد الهوية الآخر مقارنة سردية أنثروبولوجية، الناية للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط1، 2013، ص: 32.
- 14 نفسه، ص: 38.
- 15 فريدة إبراهيم، أحلام مدينة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص: 115.
- 16 نفسه، ص: 23.
- 17 نفسه، ص: 198.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا المصادر:

- إبراهيم، فريدة، (2013)، أحلام مدينة، منشورات الاختلاف، الجزائر.
 بشلم، منى، (2012) تواشيع الورد، دار الألمعية، قسنطينة، الجزائر.
 بنور، عائشة، (2014) اعترافات امرأة، منشورات الحضارة، بورتوتة، الجزائر.

ثانيا المراجع

- بنكراد، سعيد، (2008)، السرد الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
 الحجري، إبراهيم، (2013)، المتخيل الروائي العربي، الجسد الهوية الآخر مقارنة سردية أنثروبولوجية، الناية للنشر والتوزيع، سورية، دمشق.
 حسن المودن، (2009)، الرواية والتحليل النصي قراءات من منظور التحليل النفسي، الاختلاف، الجزائر.
 ثالثا المقالات:

- بوديار، عادل، (2017)، الأنساق الثقافية في الرواية السير ذاتية النسوية يوميات مطلقة لهيفاء بيطار
 أنموذجا، مجلة النص، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، الجزائر، المجلد 3، العدد 6. الصفحة 6-19.

فوغالي، باديس، (2015) بنية فضاء المؤنث في القصة النسائية الجزائرية القصيرة، مجلة النص، جامعة
العربي بن مهيدي، أم البواقي الجزائر، المجلد 1، العدد 1، الصفحة 8-22.